

قصة الاسلام ...



في عيد الغدير

بقلم

الدكتور أسعد علي



- ١ -

باسمك اللهم ، رفيع الدرجات ، يا ذا العرش ؛ أدعوك مُخلصاً لك الدين .. فاستجب

لي ؛

ثُبْتُ قلبي بروحٍ من أمرك ، ليقبل اخضرارَ التاريخ في هذي العيشة ..
وارفعني درجةً فوق نفسي ؛ لأنفلت من قيود شرورها ، وأتخلص من أثقال ذنوبها ،
وأغتسل بمطرِ الفطرة الأولى ، التي فطرتني عليها ؛ فأبعث حياً .
بحمدك اللهم ؛ انتفضتُ من قبري ، وشممتُ أطياب الحقيقة ، ورأيتُ خلقك المتقن
من نوافذ السماوات والأرض ، ورأيتُ مخلوقاتك المجنحة تسعى من أمرك في كل اتجاه ؛ تبعثُ
مجنحاً منها ، على ريش روعي ؛ فصفتُ في سماء الجزيرة ، ثم غاب في أنقى سريرة ؛
فعرّنتي رعدةً وذهولاً ، ووقفتُ على أعتاب محمد (ﷺ) صامتاً ؛ ومكنتُ خاشعاً ، حتى
حركتني اليدُ المباركة ، يَدُ العملِ الصالح وهي تُرفعُ الكلمَ الطيب ، صوبَ الله ، لتعلمَ الناس
كيف يرتفعون فوق نفوسهم درجات ..

وسمعتُ صوتَ محمدٍ ، يتلو بيانَ اللقاء ، مع المجنح الذي أضاء :

«وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين .

«نزلَ به الروحُ الأمين .

«على قلبك لتكونَ من المنذرين .

بلسان عربي مُبين .
«وإنه لفي زُبر الأولين ..
«وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين .
«قل : إنما يُوحى إليّ أنما الوُحى إله واحد .
فهل أنتم له مُسلمون .. ؟
«وأنذر عشيرتَكَ الأقربين .
«واخفض جناحَكَ لِمن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .
«فإن عَصَوْكَ ، فَقُلْ : إني بريء مما تعملون ..
فتحرك النبي من بيت الوحي إلى بيت العشيرة ؛ وتبعهُ النبي ، وأتبعهُ إلى يوم الدين ؛
فرايت عَجَباً ، وازداد قلبي ثباتاً ، وأنا أصعدُ في مدارج الغيب ، فأطلُ على حداثِ
اليقين ..
وفي حديقة منها فرحتُ ، فأثقلتني مواسمُ الفرح ؛ فهويتُ عائداً إلى الأرض ؛ معي
فصولٌ من أحسن القصص ، لكنها ذكرياتٌ ما فات ..
ليتني لم أفارق .. ولم أنس .. ولم أتعلل بالذكري .. فذكرى السرور ألمٌ ، وعيدُ الغدير
ذكرى ..

- ٢ -

أيها الإخوة في الله ،
لماذا نحتفل بعيد الغدير ؟
وما هي الحكمة من موضوعه ؟
وهل من فائدة تُرجى لحاضرنا إذا نحنُ عيدنا به ؟
موضوعُ الغدير قضيةٌ يتجنبها القضاةُ والمحامون ؛ منذ أربعة عشر قرناً ، وهي
دعوى تَوَجُّل .
وَمَن يدري لعل في تأجيلها مصلحةٌ للمحامين والقضاة ، على السواء .. ولكنه من المؤكد
أن تأجيلها ليس في مصلحة الأجيال المستقبلية الشابة ؛
لي صديق شاب ، يروي القضية من خلال قصته :
جاء صديقي ، يوماً ، ويعينيه ألمٌ ، وبوجهه قرار .
قال : هل تعرف أنني قررتُ .
قلت : قررتُ ماذا ؟
قال : قررتُ أن أترك بيتَ والدي ، وأرحل إلى أيِّ مكانٍ ، إلى جهنم ، إلى حيثُ

لا يوجد سنة ولا شيعة ..

قلت ، مُتَلَطِّفًا وَمُتَلَطِّفًا : ولماذا يا أخي ؟

قال : أنت تعرف أن أمي سنية ، وأن أبي شيعي .. وأن كلا منهما يروي لي أموراً ، عن

الآخر ، تشيَّبُ الرأس ؛ حتى أفلقاني فأفقداني الثقة بكل شيء ؛

أمي تقول : إن الخلافة ، بعد محمد ، لأبي بكر ، تاريخاً واستحقاقاً وحقيقة ..

وأبي يقول : إن الخلافة التاريخية لأبي بكر ، لا تعني شيئاً بالنسبة للحقيقة والاستحقاق ؛

فقد أوصي محمد لعلي بالخلافة ، في غدير خم ؛ يوم خطبة الوداع ، في حجة الوداع ..

قلت له : وأنت ماذا تقول ؟

قال : أنا ، في الحقيقة ، لا يهمني من الأمر شيء ؛ وأهتم أكثر : بمن يُنقِذُ فلسطين ..

بمن يوحد العرب .. بمن يهدي الخنافس .. بمن يقود حركات الشباب في العالم ..

ومع ذلك ، أضطر أحياناً للتشيل على أبوي ، فأمد يدا لامي ، وأمد الأخرى لأبي ،

وأنصوريهما يشدان بي ، كلُّ باتجاهه ، وبأقوى ما يستطيعان .. ومراراً قلت في سري ، وأنا

أتحيل أنني أتمزق على هذه الصورة :

« .. عليك سلام الله يا سيدي المسيح .. لقد فهمتُ مأساتك ، حقيقةً ومجازاً ؛ لأنك

ابن مريم ، ومريم من الأرض ؛ وابن الروح القدس ، وهو من السماء ؛ لذلك عشتُ كما مُتُ

مصلوباً أو شبه مصلوب ..

أما أنا وكلُّ الراضعين من أمومة الثقافة العربية ، وأبوة التاريخ الإسلامي ، فكلُّ يوم

تصلبنا الحيرة ، ويتجاذبنا القلق إلى شرق وغرب ، ونفزع من الفرق الممزقة إلى ما يُحَرِّرنا من

ضيقها ، إن اللادين أحبُّ إلينا مما يُفرِّقون .. »

ثم التفت إلى التفاتة جارحة ، وقال بحدة :

بربك قل لي : ما معنى الفرقة الناجية ، والفرق الهالكة .. ؟ وكيف يصح في العقل أن

آية واحدة مما يسمونه الفرق تنجو برمتها ، وجميع الفرق الأخرى تهلك برمتها ، والواقع يُشير إلى

ما يناقض هذا ؟ ..

قلت : ما دمت تُشير إلى الواقع والتناقض ، فمعنى ذلك أن كل شيء يُحلُّ بعقلك ؛

الفرقة الناجية .. والخلافة الغديرية .. والسلام المنزلي .. وغير ذلك .

فلنعد إلى الاختلاف على خلافة محمد ، لأنها منزلتُ التفريق ومفترقُ الفرق .

قال : وهل يُرضي أبي وأمي ما ستقول ؟

قلت : أنا أتحذّر إليك أنت ، وأنت شاب جامعي ، بلغت سن الرشد ؛ والمستقبل

لك ، ولابنائك ، ولأحفادك .. والمهم أن تقتنع أنت ، وأن تصالح بين والديك ، وتدخل إلى

عقليهما فهم التاريخ بصورة عصرية جديدة ، كما أدخلتُ المخترعات العصرية إلى منزلكم ؛
بذلك تجعلها يعتزان بك ، ويتطوران معك ، وإن لم يتطورا فسيتطور أبنائك ، وهذا الأهم ..
خلافة محمد يا صديقي معروفة في العقل المتيقظ ، والنقل الأمين ؛
محمد له تعاليم ، ومن يطبق تعاليم محمد ، ويقوى على حمايتها ، فهو خليفة محمد ..
وأنت نفسك تستطيع أن تكون خليفة محمد ، إذا قومت نفسك على تعاليمه تماماً .. وبذلك
تكون الفرقة الناجية ، ولو تحدثت من أبوين يعبدان الأصنام ، كأكابر الصحابة ..
قال ضاحكاً : وكأننا أحب الخلافة لنفسه ؛ لا أدري من سيفرح بعودتي إلى البيت أكثر .
امي أو أبي ؟

ولكن قبل أن أعود ، أرجوك أن تشرح لي الحكاية تاريخياً ، من خلال علي (ع) لأنهم
قصة الغدير حقاً ، وأصالح بين والدي على ضوئها ..
قلت : يا شقي ، إنك تدفعني لأمشي بعيني على أفق من إير ..
المسافة طويلة بيننا وبين الغدير ، والغمام الطريق تاريخ من الألغام ؛ وعيناي هما
عيناي ، أحبهما أكثر من أي شيء آخر ؛ فهما قرآن لي ، وتصوران وجوه أحبائي ، وترتفعان بي
إلى الأعلى ؛ بهما أتاُمُلُ جلال وجه الله في جمال ما خلق .. وعيناي عينا ، بهما أبكي للفقراء
المظلومين ، وللمستحقين المحرومين ، بهما أبكي خشية من الله رب العالمين .. ومع ذلك بهما
أمشي إلى يوم الغدير على أفق من إير .. ورخيستان هما ، إذا كان الله يحقق بذلك سعادة
والديك ، ويلهم وحدة الأمة بعد طول التفرق ، واللقاء بعد طول التهاجر ، والتسامح بعد
طول التحاقد ..

قصة الاسلام يا صديقي ، هي قصة المعرفة والمحبة ، في إطار توحيد وإيمان ؛
علم الله آدم الأساء كلها ، واستخلفه في الأرض .. وأعد جميع الأنبياء من بعده
إعداداً ..

وكذلك أعد محمد أربعين عاماً ، وألقى إليه الروح من امره ، مُجدداً كتب الأنبياء
الأولين ، رحمة للعالمين ، وبدءاً من عشيرته الأقربين ..

«فهل ينظرون إلا سنة الأولين ..

«فلن تجد لسنة الله تبديلاً ..

«ولن تجد لسنة الله تحويلاً ..»

وعلي أبو تراب ، من أقرب الأقربين في عشيرة النبي .. فهل يصلح للاعداد .. ؟ وهل
يستطيع حمل أثقال الخلافة بعد محمد .. ؟ وهل أعدّه النبي فعلاً .. ؟ وكيف نفتح باب التاريخ
لندري .. ؟

التاريخُ ناسٌ ، وأحداثٌ مزروعةٌ على مدار الزمان ؛ والزمانُ تيارٌ يمر كالبرق ؛
ترقبتُ خطورَ البرقِ ، وانخطفتُ إليه ، فتعلقتُ بجناحه ، ثم مشيتُ على قدمِ الزمان ؛
واندفعَ زورقُ الفكرِ ، فتحوّلَ بي غَوَاصَةً في لججِ التاريخِ ، وتحوّلَ منطاداً في سماءِ العظمةِ
الإنسانية ؛

كنتُ أثبتُ لصاحبي بعضَ ما أرى من لقاءِ عليٍّ بمحمّدٍ ؛ أسهلُ ما يُقالُ في تلكِ الحياةِ أنها
أقواسُ قُرحٍ ؛

كلُّ منعطفٍ من حياةِ عليٍّ قوسٌ قُرحٌ ، يجمعُ بينَ المطرِ والشمسِ ، ولا تسَلُ عن تعدّدِ
الالوانِ ، ونقاءِ الهواءِ ، وحريةِ التنقّلِ .. كلُّ شيءٍ في الجوِّ مائعٌ ، رائعٌ ، يجذبُك إليه ،
ولا تستطيعُ الوصولَ ..

قوسٌ من حياةِ عليٍّ ، ينتصبُ من محرابِ الكعبةِ إلى منزلِ النبيِّ ؛ يُسمّونَ هذا القوسَ ؛
علي يُربيهِ النبيُّ في منزلِ الوحي ؛

تأملتُ محرابَ الكعبةِ حيثُ وُلِدَ عليٌّ ..

وشهدتُ انتقالَ عليٍّ إلى بيتِ النبيِّ ، وهو طفلٌ في السادسةِ من العمرِ ، ورأيتُ الطفلَ
يتأمّلُ صلاةَ النبيِّ ، ويُنصتُ إلى آياتِ الوحيِ ثمَّ يطلبُ تعلّمَ الصلاةِ ..

سمعتُ النبيَّ يختبره ، فيقولُ : «استشر أباك يا عليٌّ ..»

ولكنَ عليّاً يجيبُ : «حينما خلقني الله ، لم يُشاوِرْ أبي ، وأنا إذا أعبدُهُ ، لا أشاوِرُ أبي ..»
وسمعتُ النبيَّ ثانيةً ، وقد جَمَعَ أشرافَ قريشٍ ، يقولُ :

«يا معشرَ قريشٍ .. قد أمرني ربي أن أدعوكم إليه .. فأياكم يؤازرنِي ، على هذا الأمرِ ،

ويكونَ وزيرِي ، ووصيي ، وخليفتي من بعدي ..؟»

ورأيتُهم يُعرضونَ عن النبيِّ ، وأشفقتُ على وجهه المنيرِ ، سلامُ الله على وجهه المنيرِ ؛

ولكنَّ الفتى عليّاً ، نهضَ حتى ظهرت قامته الصغيرة بين القوم ولبّى نداءَ رسولِ الله

قائلاً : «.. أنا ، يا رسولَ الله ..»

وقوسٌ آخرُ ، من حياةِ عليٍّ ، ينتصبُ من بيتِ محمدٍ في مكّةِ ، إلى بيتِ محمّدٍ في المدينة ؛

يُسمّونَ هذا القوسَ : «قوسُ الفداءِ والوفاءِ ..»

رأيتُ عليّاً ، يبيتُ على فراشِ محمّدٍ ، ليهاجرَ محمّدٌ ؛ عفواً ، يستقبلُ عل الموتَ ليحيا

الإسلامُ بمحمّدٍ ..

ورأيتُ على مساحِبِ القوسِ توهجاتَ ، يومَ أُحُدٍ ؛ ويومَ الخندقِ ، ويومَ خيبرِ ؛

ثلاثةَ أيّامٍ تسطُعُ بالفضلِ شمساً ؛

حمى عليٌّ نبيَ التوحيدِ ، في أُحُدٍ ؛ عندما فرّ عنه الناسُ ؛ وبرزَ الإيمانُ كُلُّهُ للشركِ كُلِّهِ ،

عندما خَسَسَ جميعَ الرجالِ أمامَ تحديِ عمرو بنِ وِدٍّ ؛ يومَ الخندقِ ؛
وفَتَحَ اللهُ خَيْرََ بالفَتْحِ ، عندما عَجَزَ عن فَتْحِ الحُصْنِ شيخانَ من أَجْلِ الشيوخِ ؛
وفَتَحَ اللهُ بَعْلِيَّ غَيْرَ خَيْرٍ ؛
فَتَحَ بَابِينَ لِلتَّوْحِيدِ الأَرْضِيَّ ، يَتَفَرَّعانَ من توحيدِ اللهِ الأَحدِ :
فَتَحَ للعَرَبِ بابَ الوَحْدَةِ بانتصارِ دينِ القرآنِ ؛
«... وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ ، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ..»
وفَتَحَ لِلانسانيةِ بابَ الوَحْدَةِ بانتصارِ رسولِ الاسلامِ ؛
«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ ، وَنُوحًا ، وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ، وَآلَ عِمْرَانَ ، عَلَى الْعَالَمِينَ ..
ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ..
وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ؛ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ..
إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ؛ وَهَذَا النَّبِيُّ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللهُ وَلِيُّ
الْمُؤْمِنِينَ ..»
ومَكَنَ اللهُ لِدِينِهِ فِي الأَرْضِ بانتصارِ خيرِ آلِ مُحَمَّدٍ ، يَقُولُ النَّبِيُّ يَوْمَ بَرَزَ عَلِيُّ لِعَمْرَوِ بْنِ
وَدٍّ :
«اللَّهُمَّ إِنْ تَنْصُرْ عَلِيًّا ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ نَصْرَ الْمُسْلِمِينَ وَالِدِينَ . وَإِنْ تَخْذُلْهُ فَلَا يُمْكِنُ لَدِينِكَ
فِي الأَرْضِ ..»
«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ خَيْرُ أَهْلِ وَأَرْوَاقِي ، فَارِدْهُ عَلِيًّا سَلَامًا ، وَلَا تَفْجِعْنِي بِهِ يَارَبَّ
الْعَالَمِينَ ..»
ورَدَهُ اللهُ سَلَامًا إِلَى مُحَمَّدٍ ، لِيَسَلَّمَ بِهِ مِنْ اصْطَفَى اللهُ ، مِنْ آدَمَ ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ...
وَلِيُشْهِدَهُ تَمَامَ النِّعْمَةِ ، وَاكْتِمَالِ الدِّينِ ، عَامَ الْوَدَاعِ ؛ وَيُعْلِنَهُ وَلِيًّا اللهُ ، عَهْدَ الْغَدِيرِ .
«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ..» كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ ..
أَحْبَبْتُ خَاتِمَةَ الأَلْوَانِ فِي هَذَا الْقَوْسِ ، لَوْنُ الْوَفَاءِ ، أَحَبُّ فَتُوحَاتِ عَلِيٍّ ؛ فَقَدْ كَانَ وَفِيًّا
لِوَحْدَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ وَفِيًّا لِلانسانيةِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ ؛
رَأَيْتُهُ عِنْدَ جِثَانِ رَسُولِ اللهِ الطَّاهِرِ ؛ عِنْدَمَا تَرَكَه النَّاسُ ، وَاجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ
يَحْمُونَ شُؤُونَ الْإِمَارَةِ ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى تَقَاسُمِهَا ..
رَأَيْتُ عَلِيًّا ، يَحْمِي جِثْمَانَ النَّبِيِّ ، مَتَمَرِّدًا عَلَى جَاذِبَةِ الْإِمَارَةِ ، أَنْ تَقْتُلَهُ مِنْ قَرَبِ نَبِيِّهِ
وَحَبِيبِهِ ، وَأَخِيهِ وَمَرْبِيهِ .
بَلْ سَمِعْتُهُ يَرْثِي رَسُولَ اللهِ رِثَاءَ الْوَفَاءِ ، فَيَقُولُ :
بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ اللهِ ..

«لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك ..

«بابي أنت وأمي ..

«أذكرنا أنت عند ربك ، واجعلنا من بالك ..»

ويتهي القوس الثاني ، وديعة عند رب محمد ؛ وذكرى من بال النبي .

وتنبثق من نهايته أقواس كثيرة مثيرة ؛

ينتصب أحدها من منزل النبي إلى سقيفة بني ساعدة ، يُسمون هذا القوس : «قوس

السماء والغبراء ..»

أثاري هذا القوس بجناحيه : جناح الوفاء لنبي السماء .. وجناح القلق على شؤون

الغبراء ؛

بائع عُمَرُ والناس أبا بكر بالخلافة ؛

واعتكف علي في بيته مع القرآن ، كأنما هو كل شيء في نظره ؛ هو خلافة الأرض وخلافة

السماء ..

قال علي : سمعت رسول الله يقول :

«إنها ستكون فتنة ..»

قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ..؟

قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل

ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ؛ ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل

الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ؛ هو الذي لا تزيغ فيه الأهواء ،

ولا تشبع منه العلماء ، ولا تلبس به اللسن ، ولا يخلق مع كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ؛ هو

الذي لم تنته الجن لما سمعته ، أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً ، يهدي إلى الرشد . ومن قال به

صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن هدى به هدى إلى صراط مستقيم ..»

فخشيت أن تكون هي الفتنة ، وجزعت على أمي من الفرقة ، وتتبع خطي علي ،

وحسبت للمستقبل ألف حساب :

أ يكون له اقتحام ، كما عرفناه في مواقفه ..؟

وقد أثاره كثيرون ، لينهض في وجه أبي بكر ، وعمر ، ويأخذ منها حقه ؛

حرّضه عمه العباس ؛

وقال له أبو سفيان مرة : «إن شئت لاملأنا عليهم خيلاً ورجلاً ، ولأسدناها عليهم من

أقطارها ..»

فأجابه علي «يا أبا حنظلة .. إنك تدعوننا لأمر ليس من أخلاقنا ، ولا من شيمتنا .. ولقد سددت دونها باباً ، وطويت عنها كشحاً ..»

ثم روي أنه بايع بعد ذلك أبا بكر ، وصارحه بحقه ، مكتفياً بالقول :
«إنه لم يمنعنا من أن نباعك إنكاراً لفضلك ، ولا نفاساً عليك لخير ساقه الله إليك ..
ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً أخذتموه ..»
فهمت أن الخلافة حق له ، لأنه معد لها ، ولكنه سد دونها باباً وطوى عنها كشحاً ؛
ثم فتح لها أبواباً في كتاب الله ، حيث كان يقول :
« .. سلوني وسلوني عن كتاب الله ما شئتم ؛ فوالله ما من آية من آياته إلا وأنا أعلم ،
انزلت في ليل ، أم في نهار ..»

وسأله أصحابه ، فلم يغلّق دونهم بابه ، بل أخذ بيدهم إلى صراط القرآن السوي ؛
وطالما رأيت أبا بكر ، يلجأ إليه ، ويقول : «أفتنا يا أبا الحسن ..»
وطالما رأيت عمر لاجئاً إليه ، وسمعته يقول :
« .. لا كنت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن .
والله لولا عليّ لهلك عمر ..»

فتحرك صديقي من مجلسه ، وصاح بي من وراء دموعه ؛ ولكن .. ولكن .. ولكن ..
فعدت من سرحة الخيال ، في معارج التاريخ ومطايي الحقب .. وقلت : ولكن
ماذا ؟

قال : ولكن لماذا يختلف أبي وأمي .. وعليّ اتفق مع أصحابه ؛ وكان مرجعاً لهم ،
وقاضياً ، ومُنقِذاً ؛ فأنا أفهم من قول عمر : «والله لولا عليّ لهلك عمر ..» أفهم من هذا
كثيراً ، ولأول مرة يتحرك عقلي بدوي حراً ، في الموضوع ؛ جزاك الله خيراً ..
قلت : ماذا فهمت من قول عمر .. ؟

قال : «هلك ، تعني فني . وعمر معدولة عن عامر . والعامر هو الباني ؛ والذي قصده
عمر ، بعدما شاهد من عليّ أيام النبي وبعده ، هو فداء عليّ للإسلام ؛ فلولا لرديم نبع
الإسلام ؛ يوم الهجرة ، ويوم أحد ، ويوم خيبر ، ويوم الخندق ؛ كما رديم نبع زمزم ، بعد
اسماعيل وإبراهيم .. ولكن الله أراد لجد عليّ أن يفجر ماء الحياة الموحد للشاربين ، من عمق
الثرى . وأراد لعليّ أن يدافع عن التوحيد ، ويرفع لواءه إلى قمة الثريا ؛
لذلك كان اسمه «عليّاً» ؛ فعلا عن الحدود والقيود ، وارتفع بأصحابه عماً يهلكهم ..
ولذلك كانت كنيته «أبا تراب» ؛ فاحتضنهم على علائيم ، ونزل عن حقهم لهم كلما دعاه
إلى ذلك التوحيد ..

عرف عليّ الضعفَ البشري في الناس ، من نفسه ، فحاول علاجه : رحمةً بين المؤمنين ، وشدةً على الكافرين .

كأنّي بقرارة نفس عليّ ، وهو يُفكر بالخلافة ، فيقول :
لقد اختصني الله برحمته منه ، وهياً لي تربيةً لم يُهيئها لغيري ، وحباني بمواهبٍ فقت بها الآخرين ، علماً وعملاً ..

أفليس كل ذلك مما يُثير شيئاً في نفوس رفاقي ؛ وهم شيوخ كبار ، وأنا فتى شاب .. ؟
عفا الله عنهم ، ونفع بهم ؛ فإنّي أعذرهم إذا نازعوني الأمر .. فليسوا بأفضل من الملائكة ؛ وقد احتجّت الملائكة يوم جعل الله آدم خليفةً في الأرض ..
اللهم اغفر لقومي ، فإننا بشرٌ .

اللهم سخرهم لرفع كلمتك ، وتوحيد المؤمنين ، يا أرحم الراحمين ..
قلت لصديقي : وأنت فتح الله عليك ، ونفع بك ؛ عُد إلى والدك ، واعذرهما ، ووحد بينهما . وقلّ لهما : إنّ ما كان من أوزار التاريخ والأجداد ، ينبغي أن لا نتحمّله نحن الأبناء والأحفاد ..

وفسّر لأبيك ، بطريقة الشباب المجدّدة ، مغزى الصلوات الإبراهيمية ، التي يُصلّيها السنة إلزاماً بعد التشهد ، بينما يُعقب بها الشيعة استحساناً ..

فسّر له : «اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ..»
بطريقتك السابقة ؛ نكشف له البيعة المستمرة لآل محمد ، كما هي مستمرة لآل إبراهيم ..
بصرّ أباك الشيعي بالإشارة ، وقلّ له أن لا يحرم ، من بركات عليّ ، أمك السنيّة ..
فعليّ إمام الجميع ؛

أمير المؤمنين ؛ وناصر المستحقين المحرومين ؛ شيخ الدروايش الزاهدين ، وقائد الشجعان المجاهدين ؛ وموظف الخطباء والباحثين ؛

أليس لهذا نعقد المجالس ، ونعطيه الثقة من جديد ، كلّ عيد غدير .. ؟ فهل تذهب معي إلى جلسة الثقة .. ؟

- ٣ -

أيها الإخوة في الله
لم يرض صديقي أن يجيء معي إلى جلسة الثقة اليوم ، لأنه حمل الثقة بدين التوحيد الحقّ إلى والديه ..

وجئتُ أحمل إليكم بعض ما دار بيننا ؛
فالخليفة لمحمد من يطبّق تعاليم محمد .

والفرقة الناجية تتألف ممن يدعون إلى الله بإخلاصٍ وصديقٍ ، من كل الفرق .. بل من كل الملل والأمم ، كما يُفيد قول الله تعالى :
«وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ، وَبِهِ يَعْدِلُونَ ..»
ومناسبة الغدير تلهم أكثر من درسٍ عصريٍّ في القيادة :
النبيُّ يُربيُّ قائداً لينقذَ عمرَ وغيره من الهلاك ؛
النبيُّ مدينةٌ علمٍ ، لا بُدُّ لها من بابٍ ومفتاح ، وقد هيأَ بعليٍّ ذلك .. وقال : «العلماء ورثة الأنبياء ..» ليحضنا على المعرفة ، ويوجهنا إلى مداخلها الصحيحة .. فالباب الباب ..
أيها الإخوة الأحباب ..

مَنْ منكم يُبايع علياً بالخلافة...؟
على شرط أن ينقذَ تعاليم محمد التي نفذها عليٌّ :
عليٌّ فدى النبي في الهجرة ، وحماه في أحد ..
عليٌّ هزَمَ الشُّركَ كله يوم الخندق ..
عليٌّ أزال خطرَ اليهود يوم خيبر ..
عليٌّ شارك الجائعين وفكَّرَ بالمحرومين ..
عليٌّ نهى أصحابه عن مسبِّة خصومه ، ودعا لخصومه بالهداية ليعرفوا الحق ..
عليٌّ عدل وصدق في أقواله وأفعاله ..

فهل تبايعون علياً ، على هذه المبادئ ، والأخلاق التوحيدية ، التي تجمع ولا تُفرِّق .. ؟
إنَّ علياً أيها الإخوة ذو أسرارٍ عميقة ، لا يعرفُ صاحبه متى يَنزَلُ عن سواء السبيل

معه ؟

قال لقاتل الزبير بعد معركة الجمل : «أبشر بالنار ياقاتل ابن صفيّة ..»
فاستغرب الرجل وقال : عجيب ، والله ، أمركم .. آل البيت .. نقتل أعداءكم ،
وتبشروننا بالنار ؟

وقال لقاتله ابن ملجم : «أهو أنت .. ؟ لطالما أحسنت إليك ..»
أرجو أن لا تقفَ بين فُكِّي هذا السرِّ الرهيب العجيب ؛
لا يرضى عليٌّ عن قاتل عدوِّه ، ويحسن إلى قاتله ، ويوصي به خيراً ..
فلنكنَّ على خطاه ، في ما نحب وما نكره ؛ لكي لا نكون علويين أكثر منه .. فنهلك ..
ومرّة أخرى : هل تمجدون البيعة لعليٍّ ؟ هل تمنحونه الثقة هذي العشية ؟

عفوكم يا امامي ؛

فما جئتُ أمنحك الثقة لتكون بثقتي خليفة ، بل جئتُ استمدُ منك الثقة لأكون مسلماً
محسناً ، على طريق الحق ؛ أنت ثقة تُشرق على الكون ، فتفتتح في جسوم المرضى شفاء ؛ وفي
قلوب اليائسين أملاً ، وفي حياة المحيين لقاء ؛ وفي عقول المفكرين دولاً وبناء .
مرة ، تفتحت في قلبِ فليسوفٍ أمريكيّ ثقةً بالنفس واعتماداً عليها ، فبنى على قولك بيانه
الإستقلالي ؛

واستقلت أمريكا عن بريطانيا بفعل تنفيذٍ لكلماتٍ منك ، فكنت أباً روحياً لإستقلالها
وحريتها ، وأبرؤك من مسؤولية المخالفة لمبدأين استمدهما منك فيلسوفها إمرسون .
ومرة ، تفتحت وضوحاً في قلب كاتب ، يبحث روحَ العصر ، في روسيا ، فقرّر ، مع
قدامى المفكرين ، أنك قدوة المستحقين المحرومين ، وإمام الثائرين على الظلم والمستغلين .
لذلك يا أميري الكبير ، نحتفلُ بعيد الغدير .
ليستمدُ منك الشبابُ ثقةً توحّدُ أمتنا ، وتزرع السلام في بيوتنا ، وتفتح الآمال في
قلوبنا . لنبني بعزم الفتوة أوطاننا ، فنفتح خيرَ الجديدة .
فعيدُ الغدير تمجيدٌ لفتوة الشباب ، من خلال تمجيدك ؛ وتقديرٌ لكفاءة المستطيع من
خلال تقدير كفاءتك .

فاعذرنا يا أبا الحسن ، إذا أسأنا إلى تواضعك . فلاحتمالنا بعيد الغدير رمزان :
رمزُ احترامنا للنبي ، الذي يربي للأمة قائداً ، ولخلفاء الأمة مرجعاً ، يفزعون إليه في
المشكلات ، فلا يهلكون .

ورمزٌ إلى تطلعات الشباب ، الطامعين إلى ثقةٍ بالنفس ؛ وكفاءةٍ تستطيع هدم الظلم وبناء
العدل ، وقدرةٍ تفرض على الشيوخ احترامها واللجوء إليها ؛ وإخلاصٍ لمبدأ الوحدة بكل
معانيه :

وحدة الإله .

ووحدة العرب .

ووحدة الإنسانية .

إمامي أنت آمالٌ نديّة	إذا جفّت من الماء البريّة
ونورٌ يملأ الآفاق حُباً	إذا ظنوا الكرائة سمرديّة
وللعرب اقتحامٌ كالأماني	يدك بخير الروح البغيّة .
رايتك فاتحاً . وأراك فتحاً	يقود النصر والمثل العليّة